

## اللغة العربية في دول الأقلية المسلمة الأوروبية

مظهر معين

تضم القارة الأوروبية أكثر من أربعين دولة مستقلة. ويزيد عدد سكانها على سبعمائة مليون نسمة. ومنها ألبانيا والبوسنة والهرسك وجزء من تركيا ذات الأغلبية المسلمة. ثم نجد بينها إسبانيا التي كانت دولة إسلامية لعدة قرون ودامت إلى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي. كما توجد هناك بعض الدول الأوروبية التي احتلت الدول الإسلامية المختلفة لحقبة من الزمان، وعلى رأسها بريطانيا وفرنسا وروسيا ثم هولندا وإيطاليا.

ثم هناك بعض الوحدات السياسية الأخرى ومنها: جبل طارق (جبرالتر) وجزر شينل وجزر فائيرو ومان آئسل اوف. ولا تزال توجد الأقليات المسلمة في كثير من الدول الأوروبية منذ أزمان بعيدة. فنجد الملايين من المسلمين منتشرين في ألمانيا وبلغاريا وبريطانيا وروسيا وفرنسا واليونان. كما نجدهم ربع مجموع السكان في دولة مقدونيا. وكذلك في مونتني نيغرو مع أغلبيتهم في منطقة كوسوفو الصربية المجاورة لألبانيا المسلمة. ثم نجد كثيرا من مناطق الأغلبية المسلمة بالاتحاد الروسي. ومنها داغستان وتاتارستان والشيشان وأنغوشيا وبشكيريا وكريمايا. وقلما تجد دولة من دول أوروبا خالية من وجود المسلمين.

وقد كان للشيعة الإسلامية أثرها القوي في تكييف التقاليد الأوروبية و بلورة اختياراتها منذ

القرن التاسع الميلادي، أي بعد مرور مدة قليلة على انتشار الدين الجديد في إسبانيا وجنوب فرنسا

وإيطاليا وبعض الجزر المتوسطية. وأبرز هذا العطاء الإسلامي الجديد هو مبادي الأخلاق الدولية<sup>(١)</sup>. وكان الإسلام ولسانه العربي قد انتشرا في إسبانيا وبعض الدول الأخرى عن طريق الدول المغربية في الشمال الإفريقي القريبة منها بعد فتحها على أيدي المسلمين العرب.

نعم إن الاتصالات بين الإسلام و أوروبا قد وصلت تدريجيا عن طريق الأندلس و صقلية. كما تبلورت عن طريق مراسي البندقية وجنوة وبيزة. وقد كان التجار الأوروبيون يقضون عدة شهور في الشرق في أوائل الخريف ونصف الربيع من كل عام. فكان ذلك أول اتصالهم بالأخلاق والعادات الإسلامية مما تمخّض عن نواة القانون التجاري الدولي الذي برز أول ما برز من خلال انتشار مبدأ حرية البحار و ذلك منذ القرن الثاني عشر الميلادي<sup>(٢)</sup>.

وقد بدأ فريدريك الثاني ملك صقلية وإمبراطور ألمانيا ١٢٥٠م يستمد من التراث الإسلامي وهو الذي أسس جامعة نابلس عام ١٢٢٤م. وجّهها بالمخطوطات العربية. وكان طوماس الأكويني المتوفى عام ١٢٧٤م من تلاميذه. وقد اعتبر فريدريك هذا أول ملك مبدع خلّاق وضع الكثير انطلاقا من المناهج العربية. من ذلك وضعه للضرائب المباشرة وغير المباشرة والهياكل العسكرية والرسوم الجمركية واحتكار الدولة للمعادن وبعض البضائع مما كان يعرف في الشريعة الإسلامية منذ القرنين التاسع والعاشر ولكنه أصبح نموذجا احتذته أوروبا كلها<sup>(٣)</sup>.

فلنذكر في هذا المنظور الأوروبي بعض الدول الهامة منفصلة لأهميتها الخاصة بالنظر إلى ارتباطها المباشر باللغة العربية والثقافة الإسلامية على نطاق واسع قديما وحديثا. ولنبدأ بإسبانيا أقدم الدول العربية الإسلامية في أوروبا ثم ننتقل إلى فرنسا وبريطانيا وروسيا وبعض الدول الأخرى على حدة.

١ - إسبانيا:

مساحة البلاد ١٩٤,٨٨٤ ميل مربع وعدد السكان (٣٩,٤) مليون نسمة، و دين الأغلبية: المسيحية (كاثوليك ٩٦٪) والآخرين: ٤٪.

كانت الأندلس أو إسبانيا دولة عربية إسلامية مزدهرة لعدة قرون بدءاً من انتصار طارق بن زياد قائد الجيش الإسلامي في معركة لاغون دي خنده (Lagun.de.Janda) شمالي مدينة شورنة في يوليو

---

١- عبد العزيز بن عبد الله: أثر الفقه الإسلامي في مدونات الغرب "المصطلح العربي من أول أدوات التعبير في

القانون الأوروبي"، في مجلة اللسان العربي، الرباط، العدد ١٩، (١)، ١٩٨٢م، ص ١٣٠.

٢- نفس المرجع ونفس الصفحة.

٣- المرجع نفسه، ص ١٣١.

٧١١م وإلى عام ١٤٩٣م لما أُجِّلِيَّ أبو عبد الله آخر أمراء غرناطة بعد سقوطها وإتمام سيطرة النصارى على أرض إسبانيا بأجمعها. فحوَّلوا إلى دولة مسيحية وحاولوا مَحْوَ جميع المعالم والآثار العربية الإسلامية منها مع قتل البقية الباقية من المسلمين الذين رفضوا اعتناق المسيحية و آثروا الموت في سبيل الإسلام على أن يحيوا في سبيل غيره.

ومن المعروف أن تاريخ بني أمية في الأندلس مرَّ بعصرين: عصر الإمارة، أي أيام كان الحكام يسمون الأمراء ويمتد من سنة ٧٥٦م إلى سنة ٩٢٨م. والعصر الثاني عصر الخلافة أي من يوم اتخذ عبد الرحمن الثالث بن محمد لقب الخليفة ولقب نفسه ب (الناصر لدين الله) وذلك عام ٩٢٨م إلى نهاية حكم آخر خلفائهم (هشام الثالث، المعتمد) سنة ١٠٢١م<sup>(١)</sup>.

وكانت مدينة قرطبة عاصمة البلاد في عصر الخلفاء المسلمين لعدة قرون و كان شأنها آنذاك غير شأنها اليوم. "وإن قرطبة مقر الخلفاء الأقدمين، تلك العاصمة القديمة التي طبقت شهرتها الآفاق بالجمال والفخامة. والتي سطعت شمس مدينتها مدى أجيال عدة على كل مدن الغرب هي اليوم مدينة مهملة غارقة في لجة الخمول، ولولا بعض السياح الذين يزورونها ويساعدون أهلها بما ينفقون فيها لبقى سكانها لا يعرفون شيئا عن مجد مدينتهم الغابر العظيم. لقد كانت قرطبة في أعظم مجدها تحتوى على ١٣٠,٠٠٠ منزل ما عدا منازل وقصور كبار الموظفين والأمراء. و ٣٠٠٠ مسجد، و ٥٠ مستشفى، و ٨٠٠ مدرسة، و ٩٠٠ حمام. أما عدد الكتب التي كانت موجودة فيها فكانت نحو ٤٠٠,٠٠٠ مجلد. ولهذا بقيت قرطبة من القرن التاسع إلى القرن الثاني عشر مهبطا لוחي القرائح في الغرب ومعينا للثقافة والعلم"<sup>(٢)</sup>.

وكان ذلك الازدهار مرتبطا بالإسلام و لغته وحضارته كما قال سيد قطب في هذا الموضوع: "وإن الإسلام هو الذي حمى الوطن الإسلامي في الشرق من هجمات التتار كما حماه من هجمات الصليبيين على السواء. ولو انتصر الصليبيون في الشرق كما انتصروا في الأندلس قديما، أو كما انتصر الصهيونيون في فلسطين حديثا ما بقيت قومية عربية ولا جنس عربي ولا وطن عربي. والأندلس قديما وفلسطين حديثا كلاهما شاهد على أنه حين يطرد الإسلام من أرض، فإنه لا تبقى فيها لغة وقومية، بعد اقتلاع الجذر الأصيل"<sup>(٣)</sup>.

- ١- شريف يوسف، قرطبة "عاصمة الأمويين الكبرى في الأندلس" في مجلة آفاق عربية بغداد، العدد الثامن، نيسان، ١٩٧٧م، ص ٩٨.
- ٢- نفس المرجع، ص ١٠١.
- ٣- سيد قطب: المستقبل لهذا الدين، الولايات المتحدة الأمريكية (غيري - إنديانا)، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، ص ١٣١.

فانقطعت الصلة الوثيقة بين إسبانيا واللغة والثقافة العربيين بعد إبادة الإسلام وأهله وإبعاده عن أراضيه قبل خمسة قرون. وكيفما كان الحال فنحن نودّ أن نشير إلى علاقة إسبانيا باللغة والثقافة العربيتين الإسلاميتين قديماً وحديثاً من خلال النقاط الآتية:

١- لا يخفى على أحد من الباحثين في تراث إسبانيا أنه يضم آلاف الكتب العربية المؤلفة في العلوم الإسلامية والآداب المنثورة والمنظومة المتنوعة التي ألفها علماء الأندلس وأدباؤها خلال رحلة ثمانية قرون كان آخرها القرن الخامس عشر الميلادي. ولا تزال تفتخر الأمة العربية والإسلامية بهذا التراث العربي الإسباني الغالي الثمين كماً وكيفاً.

وكانت اللغة العربية أثرت في المجتمع الإسباني أثناء الحكم الإسلامي فيه إلى حد اضطر رجال الكنيسة إلى ترجمة الأناجيل وكتب العهد القديم إلى اللغة العربية الفصحى لأن الشباب المسيحيين كانوا يفضّلون دراستها بها على قراءتها بلغتهم الإسبانية أو اللاتينية.

وقس على ذلك اعتناء اليهود باللغة العربية وعلومها في الأندلس الإسلامية مع الاعتناء بأختها السامية العبرية. وكان الفضل لعلماء اليهود في الأندلس لتبيين العلاقة الواضحة المتينة بين اللغتين العربية والعبرية الساميتين. كما كان لهم الفضل في إبقاء الآداب العربية الأندلسية بالأبجديتين العربية والعبرية بعد إبادة المسلمين من الأراضي الأندلسية إلى أقصى حد استطاعوا إليه سبيلاً. فالأمة الإسلامية المنتشرة في أوروبا وخارجها مدينة لمساعي اليهود ومجهوداتهم العلمية والثقافية لصيانة التراث العربي الإسباني الضخم من الإحراق والإتلاف في تلك الأيام المظلمة المعادية للعرب وعلوم لغتهم. فشكرهم وأمثالهم واجب ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ولله الحمد أولاً وأخيراً.

٢- تأثرت اللغة والثقافة الإسبانيتان باللغة والثقافة العربيتين إلى حد كبير. وما زال هذا التأثير يظهر إلى يومنا هذا في تقاليد الإسبانين الاجتماعية والثقافية. وكذلك نجد في ملامح وجوههم وهيئاتهم وألوانهم تشابهاً كبيراً بأبناء الأمة العربية الإسلامية إلى عصرنا الحديث.

ثم تعتبر اللغة الإسبانية أقرب اللغات الأوروبية إلى اللغة العربية. ولعلها كانت تكتب بحروفها أيضاً مع كونها مكتوبة بالحروف اللاتينية أثناء الحكم العربي الطويل الذي دام عدة قرون في إسبانيا أو الأندلس. ومن حسن حظنا أننا نجد هذه اللغة الإسبانية المتأثرة باللغة العربية سائدة في أغلبية الدول الأميركية اللاتينية. كما أنها الآن لغة عالمية معترف بها رسمياً في هيئة الأمم المتحدة مثل الإنجليزية و الفرنسية والروسية والعربية. ويتجاوز عدد الناطقين بها في إسبانيا وأمريكا اللاتينية وخارجها ثلثمائة مليون نسمة. ونجد الآن تراجم معاني القرآن ومزيداً من الكتب الإسلامية المتنوعة باللغة الإسبانية بمرور الزمن.

والجدير بالذكر أن عدد المجالات والنشرات باللغتين العربية والإسبانية لا يزال يتزايد بمرور الزمن. فيصدر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر مجلة شهرية باللغة العربية تحمل اسم "منبر الإسلام" منذ عام ١٩٤٣م. وتصدر هذه المجلة باللغات الإسبانية والإنجليزية والفرنسية أيضاً. وكذلك أصدرت الجماعة الإسلامية في غرناطة مجلة شهرية باسم "البلد الإسلامي" باللغتين العربية و الإسبانية قبل عشرة أعوام. وكل ذلك يبشر بالخير بالنسبة لنشر اللغة العربية في البيئة الإسبانية والأوروبية.

٣- بدأ الناس يتوجهون إلى الإسلام والثقافة العربية الإسلامية الأندلسية مرة أخرى بعد اعتراف الحكومة بالدين الإسلامي كالدين المسموح للأمة الإسبانية قبل بضع سنين وبعد خمسة قرون. فلا يزال عدد المنتسبين إلى الإسلام والمتوجهين إلى حضارة الإسلام وثقافته العربية الإسبانية يتزايد يوماً فيوماً. وهم يرغبون في اكتشاف الصلة بينهم وبين أسلافهم العرب رغبة متزايدة حتى وصل مئات المسلمين الجدد من إسبانيا إلى سواحل المملكة المغربية عن طريق البحر قبل أعوام احتفالاً بعيد الفطر، فرحب بهم العاهل المغربي جلالة الملك الحسن الثاني مع شعب بلاده ترحيباً حاراً. فعادوا إلى بلادهم بعد أيام داعين أهل المغرب للاحتفال بعيد الأضحى القادم معهم في إسبانيا لتوثيق العلاقات الودية القديمة بينهم. فلم تتعرض الحكومة الإسبانية لهم بل سمحت لهم بتلك الرحلة المغربية.

٤- نجد المسلمين من الأجانب والمواطنين مشغولين ببناء المساجد وترميمها وإنشاء المراكز الإسلامية في مختلف المدن الإسبانية مع اعتنائهم بالعبادات وتعليم لغة القرآن وتبليغ رسالة الإسلام إلى الشعب الإسباني على قدر الإمكان. وكذلك نجد الآن الاهتمام المتزايد باللغة العربية والدراسات الإسلامية بالجامعات الإسبانية<sup>(١)</sup>.

هذا وقد حان للدولة الإسبانية - حكومة وشعباً - أن تركز على تجديد علاقاتها اللغوية والثقافية مع الدول العربية المجاورة و تعترف بأهمية اللغة العربية كلغة إسبانيا الثقافية نظراً إلى ماضيها وعلاقتها الوثيقة باللغة والثقافة الإسبانييتين قديماً وحديثاً، إضافة إلى كون العربية لغة الإسلام والمسلمين في إسبانيا و في الدول العربية والإسلامية والإفريقية المجاورة لها أو القريبة منها. كما يجب الاهتمام بها كمادة تعليمية هامة بعد اللغة الإسبانية وقبل اللغات الأجنبية الأخرى.

ويعني ذلك كله محاولة ربط إسبانيا الجديدة بماضيها المجيد المشرق لغة وثقافة مع توثيق روابطها اللغوية والثقافية بتلك الدول العربية والإسلامية والإفريقية المختلفة. وإذا اتخذت الدولة

١- هذه المعلومات المتعلقة بإسبانيا مأخوذة من المصادر المختلفة. وراجع للإحصائيات المذكورة.  
P.C. Globe 5.0 (W) 1992, P.C. Globe Incorporated, Tempe, Arizona, U.S.A. (Spain).

الإسبانية الإجراءات اللازمة بهذا الصدد فمن المتوقع أن تتبعها جميع الدول الناطقة باللغة الإسبانية نظراً إلى العلاقات الوثيقة العميقة بين الثقافتين واللغتين الإسبانية والعربية.

والمسؤولية على عاتق الدول المغربية (الجزائر وتونس والمغرب) أولاً والدول العربية والإسلامية الأخرى ثانياً للاهتمام باللغة الإسبانية كلغتها الثانية أو الثالثة لأهميتها العالمية والثقافية ولتزويد المكتبة الإسبانية بالمؤلفات الإسلامية على نطاق واسع لتلبية لحاجات المسلمين وغيرهم من الناطقين بهذه اللغة التي لا يقل عدد الناطقين بها عن ثلثمائة مليون نسمة في مختلف أنحاء العالم الإسلامي لاسيما إسبانيا وأمريكا اللاتينية. كما يجب على هذه الدول أن تتعاون مع إسبانيا لنشر وإحياء التراث العربي الإسباني. وكذلك لنشر اللغتين الإسبانية وعلومهما معاً في أمريكا اللاتينية وخارجها بفوائدها ونتائجها الإيجابية على المستوى الثقافي والعالمي. و مما يبشر بالخير في هذا الصدد أن الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد قررت أخيراً فتح فرعها بإسبانيا. وهذه خطوة هامة في سبيل تطوير العلاقات الإسبانية العربية الإسلامية بعد قرون.

### ٣- فرنسا:

مساحة البلاد ٢١١,٢٠٧ ميل مربع، عدد السكان: ٥٦٤٦ مليون نسمة.

وصلت اللغة العربية وعلومها إلى حدود فرنسا عن طريق الأندلس الإسلامية المجاورة لها قبل قرون. فاستعدت الأمة الفرنسية لتلقيها والاستفادة منها على نطاق واسع. ثم يبدأ العصر الجديد من تاريخ الأدب العربي بهجوم نابوليون على مصر العربية سنة ١٧٩٨م. فلعب الفرنسيون دوراً أساسياً في النهضة العلمية والأدبية والثقافية بمصر العربية. ولا يخفى على العارفين بالأدب العربي مدى التأثير الفرنسي العميق في الآداب العربية ويد فرنسا في إحيائها ونشرها أثناء تلك المدة الوجيزة (١٧٩٨-١٨٠١م) وبعدها. وكفى بفرنسا فخراً أن الأدب العربي الجديد تعتبر بداية تاريخه من بداية الحكم الفرنسي في مصر.

٢- استمر الحكم الفرنسي في كثير من الدول العربية والإسلامية الإفريقية مدة طويلة. ومنها الجزائر وتونس والمغرب وموريتانيا و جيبوتي وجزر القمر وتشاد والنيجر والسنغال وغينيا ومالي وكامبيرون وغابون وفولتا العليا وبنين وساحل العاج وتوغو وجمهورية إفريقيا الوسطى... إلخ. ولذلك تجد اللغة الفرنسية في دول شمال إفريقيا وغربها تسير جنباً إلى جنب مع اللغة العربية المنتشرة فيها كلغة العرب ولغة الإسلام والأفارقة انتشاراً واسعاً.

٣- يبلغ عدد المسلمين في فرنسا حوالي خمسة ملايين نسمة بموجب التقديرات المختلفة. [وتنتمي أغلبيتهم إلى الدول الإفريقية المذكورة آنفاً عرقاً وثقافةً. فالإسلام هو الدين الفرنسي الثاني فعلاً

بعد دين الأغلبية المسيحية. كما أن اللغة العربية هي لغة البلاد الثانية فعلا من حيث عدد الناطقين بها والمنتمين إليها من العرب والمسلمين. و يتعلم المسلمون الأجانب والفرنسيون لغة القرآن لتلاوته ولأداء الصلاة وللحاجات الدينية الأخرى. وذلك بالإضافة إلى كونها لغتهم الأم في كثير من الأحيان. ويوجد في باريس والمدن الأخرى كثير من المساجد والمعاهد والمراكز والمنظمات الإسلامية تقوم بنشر لغة القرآن وتعاليم الإسلام بين المسلمين وغيرهم من المواطنين. ولا يزال عدد الراغبين في الإسلام ولغة القرآن يتزايد يوما فيوما. و على رأسهم الدكتور موريس بوكائي مؤلف "العلم والقرآن والإنجيل" باللغة الفرنسية الذي يعدّ من كبار رجال العلم والتكنولوجيا وممن تأثر بالقرآن قبل سنين نتيجة لتفكيره وأبحاثه العلمية.

وكان منهم الدكتور غرينيا الشهير الذي كان اعتنق الإسلام قبل عقود بعد أن قرأ ترجمة فرنسية لآية واحدة من القرآن وهي قوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدِّ يَرَاهَا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾<sup>(١)</sup>.

ففكر أن صاحب الكلام محمد صلى الله عليه وسلم كان عارفا بأمر البحر مثله. فلما عرف أنه عليه السلام لم يسافر عن طريق البحر أبداً اعتبره صاحب المطالعة الواسعة العميقة. فلما علم أنه كان أمياً تيقن بكون القرآن كلام إله الذي يشاهد الغارق في البحر في الليلة المظلمة المذكورة في التشبيه القرآني. فكان بنفسه عارفا بكيفيات البحر لانفاقه معظم عمره في أسفار الأبحار فأسلم على الفور بدون أن يرشده أحد من الناس إلى الإسلام.

والجدير بالذكر شخصية الدكتور محمد حميد الله الصديقي الذي كان حمامة المركز الإسلامي في باريس، والذي أنفق عمره في نشر الإسلام في فرنسا وأوروبا والعالم كله، ومن تفتخر به الأمة الإسلامية في كل مكان، فقد قام بترجمة معاني القرآن إلى اللغة الفرنسية ثم الألمانية، وله مؤلفات قيمة عديدة باللغات الغربية والشرقية المختلفة، كما ألقى مئات المحاضرات في مختلف أرجاء العالم باللغات المختلفة. و منها اللغة العربية والفارسية والتركية والأردية والإنجليزية والفرنسية والألمانية إلخ. وله دور أساسي في تحويل آلاف الفرنسيين إلى الدين الإسلامي.

٤- يواصل عدد كبير من الطلبة العرب والمسلمين والأفارقة دراساتهم العليا بالكتاب والجامعات الفرنسية في العلوم التجريبية والآداب المتنوعة. ولهم نشاطاتهم الدينية والثقافية أثناء إقامتهم

في فرنسا. كما تهتم الجامعات الفرنسية بالدراسات العربية والإسلامية على نطاق واسع. وعلى رأسها جامعة السوربون الشهيرة. فتوجد أقسام اللغة العربية والدراسات الإسلامية والشرقية بالجامعات المختلفة. وتقدم هذه الجامعات جميع التسهيلات للدراسات العليا في الآداب العربية والإسلامية للراغبين فيها وتمنحهم شهادات الماجستير والدكتوراة وغيرهما بعد إكمال دراساتهم المختلفة. ولا يزال المستشرقون والباحثون وطلاب العلم مشتغلين بعلوم العرب والإسلام منذ زمان. فنرى مئات العلماء والأدباء العرب قد تخرجوا من الجامعات الفرنسية ولعبوا دورا هاما في تكوين الآداب العربية بنواحيها المختلفة متأثرين بالآداب والثقافة الفرنسيين. ويضيق المجال عن ذكرهم فنكتفي بالإشارة إلى الدكتور<sup>□</sup> طه حسين وتوفيق الحكيم منهم.

٥- نجد آلاف الكتب الفرنسية مؤلفة في المواضيع العربية والإسلامية بدءاً من تراجم معاني القرآن وكتب الحديث إلى تراجم كتب طه حسين وتوفيق الحكيم. ولا يزال يشتغل بالترجمة والتأليف آلاف العلماء والباحثين والأدباء والمثقفين في فرنسا و في الدول الناطقة باللغة الفرنسية كما نجد المكتبات الفرنسية غنية بالمؤلفات العربية والإسلامية باللغتين العربية والفرنسية.

وكان السيد جمال الدين الأفغاني (ت ١٨٩٧م) والشيخ محمد عبده (ت ١٩٠٥م) قد أصدرتا جريدة العروة الوثقى الشهيرة من باريس في القرن التاسع عشر الميلادي. ولا يزال يطبع كثير من المجلات والنشرات والجرائد والكتب العربية والإسلامية في فرنسا. ومنها مجلة المستقبل الشهيرة الصادرة من باريس. ومجلة فكر التي صدرت في باريس قبل عشر سنوات تقريبا تحت رئاسة تحرير الصحفي المصري طاهر عبد الحكيم. وكذلك تقدم الإذاعة المرئية والمسموعة الفرنسية برامج مختلفة للناطقين بلغة الضاد داخل فرنسا وخارجها<sup>(١)</sup>. ويدل ذلك كله على أهمية اللغة العربية ومكانتها في فرنسا. وإذا كانت اللغة الفرنسية لغة رسمية وتعليمية إجبارية في كثير من الدول العربية والإسلامية الإفريقية ولا تزال سائدة فيها بعد استقلالها، فقد كان يجب على دولة فرنسا أن تفكر في جعل اللغة العربية لغة البلاد الثانية لتقوية الروابط الثقافية المتبادلة بينها وبين الدول الناطقة باللغتين العربية والفرنسية معا. وكذلك مراعاة لأقليتها المسلمة و نظرا إلى أهمية العربية العلمية والدولية، والله الموفق.

### ٣- بريطانيا:

مساحة البلاد ٩٤,٥٢٥ ميل مربع، عدد السكان (٥٧,٥) مليون نسمة.

١- هذه المعلومات المتعلقة بفرنسا مأخوذة من المصادر المختلفة وراجع للإحصائيات: □  
P.C. Globe 5.0 1992, (France) □



١- احتلت بريطانيا كثيرا من الدول العربية والإسلامية، ولفترة طويلة، إلى أن نالت استقلالها بمرور الزمن. ومنها مصر والسودان والصومال وإريتريا وجزر زنجبار وفلسطين والأردن وسوريا ولبنان والعراق واليمن و الحجاز والكويت والإمارات العربية المتحدة وقطر والبحرين وعمان إلخ.

أما من الدول الإسلامية غير العربية فمثل نيجيريا وغامبيا وسيراليون وإثيوبيا وتنزانيا وغيرها من الدول الإفريقية ثم باكستان وبنغلاديش كجزئين من شبه القارة الهندية وماليزيا و برونائي دار السلام في آسيا، إلخ.

ولذلك نرى اللغة الإنجليزية سائدة في هذه الدول كلغة ثانية أو أكثر من ذلك في بعضها. كما أن اللغة العربية تحتل فيها مكانة أساسية كلغة رسمية ووطنية أو كلغة دينية وتعليمية. فعلاقة الدولة البريطانية باللغة العربية والثقافة الإسلامية علاقة مباشرة قديمة.

٢- يتراوح عدد المسلمين في بريطانيا بين مليون ومليونين نسمة بموجب التقديرات المختلفة. ومعظم ينتمون إلى شبه القارة المقسمة الآن إلى باكستان و الهند وبنغلاديش. كما أن هناك عدداً غير قليل من المسلمين العرب والأفارقة وغيرهم من أبناء الجنسيات والسلالات المختلفة. وكذلك هناك مجموعة مسلمة مكونة من المسلمين الإنجليز. فالإسلام هو الدين البريطاني الثاني فعلا بعد المسيحية من حيث عدد أتباعه. واللغة العربية هي لغة دينية مشتركة لجميع المسلمين الناطقين باللغات المختلفة يتعلمونها لتلاوة القرآن وأداء الصلاة و للحاجات الدينية الأخرى. كما نجد كثيرا من المساجد والمراكز والمنظمات الإسلامية في لندن والمدن الأخرى تقوم بنشر لغة القرآن وتعاليم الإسلام بين المسلمين وغيرهم من المواطنين. ومنها "المؤسسة الإسلامية" في ليستر و "بعثة يوكي الإسلامية" في لندن و "برلمان المسلمين" و "اتحاد المنظمات الإسلامية الطلابية" وغيرها.

٣- تدرس اللغة العربية في المدارس الإنجليزية كاللغة الأم للطلبة العرب. و كانت غرفة التجارة العربية - البريطانية قد ساعدت على إدارة تدريس اللغة العربية للطلبة الإنجليز في بعض المدارس الشعبية قبل بضع سنين. كما أن الاهتمام باللغة العربية لا يزال يتزايد يوما فيوما على المستوى الرسمي والتعليمي لأهميتها الثقافية الإسلامية والسياسية الدولية.

ولا تزال تهتم الجامعات البريطانية وإلى اليوم في كل من لندن وكامبرج وأوكسفورد وغيرها بالدراسات العربية والإسلامية وذلك منذ زمن بعيد. فتوجد أقسام اللغة العربية والدراسات الإسلامية بالجامعات المختلفة. نرى كثيرا من العرب والمسلمين قد نالوا شهادات الماجستير والدكتوراة منها ولعبوا دورا هاما في تكوين الآداب العربية والإسلامية متأثرين بالآداب والثقافة الإنجليزيتين.

ويواصل عدد كبير من الطلبة العرب والمسلمين دراساتهم العليا في الكليات والجامعات البريطانية لنيل الشهادات المتنوعة في العلوم التجريبية و الآداب المختلفة. ولهم نشاطاتهم الدينية والثقافية الواسعة المرتبطة باللغة العربية والثقافية الإسلامية أثناء إقامتهم هناك.

٤- من جهة أخرى، نجد آلاف الكتب الإنجليزية مؤلفة في المواضيع العربية والإسلامية بدءاً من تراجم معاني القرآن الكريم وكتب الحديث والفقه إلى مؤلفات جبران خليل جبران. وتعتبر اللغة الإنجليزية أكبر اللغات الغربية العالمية من حيث عدد المؤلفات المتعلقة بالعلوم والآداب والثقافة العربية والإسلامية بنواحيها المختلفة. وقد قام بتصنيف هذه الكتب وترجمتها إلى الإنجليزية آلاف العلماء والأدباء من المستشرقين البريطانيين وغيرهم من الناطقين باللغة الإنجليزية في البلدان العربية والإسلامية والأجنبية المختلفة. ولا يخفى على القارئ الكريم أن بريطانيا قد لعبت دوراً هاماً - ولوقت طويل - في نشر اللغة الإنجليزية في مشارق الأرض ومغاربها وإثرائها بالعلوم العربية والإسلامية.

٥- يطبع كثير من المجلات والنشرات والجرائد والمؤلفات العربية في بريطانيا وعلى رأسها مجلة عربيكا لندن باللغتين العربية والإنجليزية كما تقدّم الإذاعة البريطانية المرئية والمسموعة العديد من البرامج للناطقين بلغة الضاد داخل البلاد وخارجها<sup>(١)</sup>.

ويدل ذلك كله على أهمية اللغة العربية لبريطانيا ومكانتها لديها. وإذا كانت اللغة الإنجليزية لغة رسمية وتعليمية إجبارية في كثير من الدول العربية والإسلامية ولا تزال سائدة فيها بشكل أو آخر، فقد كان من الواجب على بريطانيا أن تفكر في اعتبار اللغة العربية لغة البلاد الثانية كذلك لتقوية الروابط الثقافية المتبادلة بينها وبين الدول الناطقة باللغتين العربية والإنجليزية معاً، وكذلك مراعاة لأقليتها المسلمة نظراً إلى أهمية اللغة العربية على المستويات العلمية والثقافية والدولية والله الموفق.

#### ٤- روسيا:

مساحة البلاد ٦,٥٩٢,٨١٩ ميل مربع، عدد السكان (١٤٧,٤) مليون نسمة.

١- تعتبر الدولة الروسية أكبر الدول الأوروبية من حيث قوتها و مساحتها وعدد سكانها. فعدد السكان في الاتحاد الروسي يجاوز المائة والخمسين مليون نسمة. كما يزيد عدد المنتمين إلى السلالة الروسية على ثمانين بالمائة. ويقارب عدد المسلمين فيها أربعة في المائة على الأقل<sup>(٢)</sup>.

١- هذه المعلومات المتعلقة ببريطانيا مأخوذة من المصادر المختلفة - وراجع للإحصائيات:

P.C. Globe 5.0 1992, (U. K.)

٢- إدريس الصديقي: النظام العالمي الجديد أو العالم الإسلامي الجديد (نيا عالمي نظام يا نيا عالم إسلام) في

مجلة أردو دائجست الشهرية، لاهور، العدد أكتوبر ١٩٩١م، ص ٨٣.

فهناك في روسيا ملايين المسلمين منتشرين مختلف أنحاءها، ولعلمهم يشكلون أكبر الأقليات الإسلامية في الدول الأوروبية كلها، ولهم مناطق أغليبيتهم شبه الحرة داخل الاتحاد الروسي الكونفدرالي أيضاً. ويتمتع المسلمون الآن بالحريات الدينية مثل غيرهم من المواطنين بعد نظام "البروسترويكا" الذي أدخله الرئيس السابق جوبرتشوف. واليوم نجد المسلمين يقيمون للغة العربية وزنا كبيرا باعتبارها لغتهم الدينية. وبدأوا يتعلمونها على نطاق واسع لتلاوة القرآن وأداء الصلاة وللحاجات الدينية الأخرى.

من جانب آخر افتتحوا لهم مركزاً إسلامياً كبيراً في عاصمة البلاد موسكو في يونيو ١٩٩١م. واشترك في حفل افتتاحه عدد كبير من سفراء الدول الإسلامية وممثليها المعتمدين من أصحاب السلك الدبلوماسي في موسكو. فقد ذكر السيد عين الدين إمام جامع موسكو وخطيبه متحدثاً إلى وكالة "تاس" السوفياتية للأنباء بأن لإنشاء هذا المركز أهمية بالغة لدى ثمانمائة ألف مسلم في موسكو. كما أنه سيلعب دوراً هاماً في نشر الفكرة الإسلامية وتبليغ رسالة الإسلام بالاتحاد الروسي، وأنه سوف يحاول أصحاب المركز إحياء وترميم الأبنية التاريخية و نشر الثقافة الإسلامية. وذلك مع طبع الكتب الدينية وإصدار جريدة حرة للمسلمين<sup>(١)</sup>.

ولا يزال يتزايد الآن عدد المساجد والمراكز الإسلامية يوماً بعد يوم في جميع أنحاء الاتحاد الروسي، وتحاول جميعها القيام بنشر لغة القرآن وتعاليم الإسلام في جميع أنحاء البلاد.

٢- أما مناطق الأغلبية المسلمة بالاتحاد الروسي فتشمل جمهوريات داغستان والقفقاز وتاتارستان والشيشان وأنغوشيا وكراشائي وشركيسيا وبشكيريا وكريميا وغيرها. وتعتني الآن حكومات المناطق المسلمة الروسية باللغة العربية اعتناء عظيمًا حيث تبذل جهودها في سبيل تعليمها بأبجديتها ونشرها بين مسلميها على نطاق واسع.

ومن المعروف أن منطقة داغستان ظلت ناطقة بلغة القرآن لعدة قرون. وسادت فيها اللغة العربية كلغة رسمية إلى عام ١٩٣٨م في حين أنها لم تكن لغة شعبها الأم بل كانت لغة دينه<sup>(٢)</sup>.

١- النظام العالمي الجديد، المرجع السابق، ص ٨٧.

٢- ساجد مير: ما وراء نهر آمو (دريائـ آمو كـ اس بار) في جريدة باكستان اليومية، لاهور، مجلة الجمعة، ٥ مارس ١٩٩٣م، ص ١١ (أخبره بذلك السيد أحمد القاضي، رئيس النهضة الإسلامية في داغستان).

فلا عجب إذا عادت إلى مكانتها الأولى مرة أخرى في داغستان ثم سادت في جميع المناطق الإسلامية كلغة الإسلام والمسلمين بالاتحاد الروسي، وليس ذلك ببعيد إذا نظرنا إلى حرص المسلمين على تعلم لغة القرآن والصلاة وإجادتها في جميع أنحاء البلاد.

وكذلك كانت لغات المسلمين تكتب بالحروف العربية إلى ما قبل نجاح الثورة الشيوعية في الدولة الروسية. ولا عجب إذا اختيرت الحروف العربية لكتابتها مرة أخرى وبسرعة مذهلة لأن الحكومة الروسية لا تصرُّ الآن على كتابتها بالحروف الروسية. ولم تكن الأبجدية العربية متروكة كلياً حتى في عصر الشيوعية فكانت "إدارة الجمهوريات السوفيتية الأوروبية وسيبيريا" أصدرت كتاباً عن الصلاة باسم الإسلام والعقيدة بالحروف العربية عام ١٩٥٧م بمدينة أوفاً<sup>(١)</sup>.

وتعتبر اللغة العربية لغة البلاد الثانية فعلاً بعد اللغة الروسية كما تعتبر الأبجدية العربية أبجدية البلاد الثانية فعلاً نظراً إلى ملايين المسلمين المنتسبين إليهما دينياً وثقافياً.

٣- وتطبع الآن نسخ القرآن وتكتب الحديث والعلوم الإسلامية بالاتحاد الروسي بدون أي مانع أو تدخل من قبل الحكومة. كما لا تمنع الحكومة الروسية الآن من تعليم اللغة العربية وأبجديتها في المساجد وخارجها كذلك. وهناك محاولات عديدة لإدخال اللغة العربية والدراسات الإسلامية في مقررات المدارس الرسمية لاسيما في مناطق الأغلبية المسلمة.

ويعتبر ترميم المساجد القديمة وبناء المساجد الجديدة مع إنشاء المدارس والمعاهد العربية الإسلامية ونشر لغة القرآن وأبجديتها من مميّزات النشاطات الإسلامية بالدولة الروسية. وعادَ مسموحاً باستيراد الكتب العربية الإسلامية من خارج البلاد كما تشجع الحكومة الروسية أصحاب الدين والروحانية على ملء الفراغ الديني والروحي الذي ظهر بعد إلغاء النظام الشيوعي بأخطر صورته. والمجال مفتوح لحملة رسالة الإسلام لإنقاذ أبناء آدم عليه السلام من الهلاك والخسران في تلك البلاد.

٤- توجد أقسام اللغة العربية والدراسات الإسلامية بالجامعات الروسية المختلفة. ولا يزال المستشرقون والباحثون وطلّاب العلم مشتغليين بالعلوم العربية والإسلامية منذ زمان. وبدأ الآن يظهر عدد كبير من المخطوطات العربية و التركستانية المكتوبة بالحروف العربية في مختلف أنحاء روسيا. ويحتاج هذا التراث الغالي الثمين إلى الباحثين والمحققين من داخل البلاد و خارجها لتحقيقه وإحيائه ونشره. والأمة الروسية مستعدة لتحمل مسؤولياتها بهذا الصدد.

١- الدكتورة س. اكينر: الإسلام في الاتحاد السوفيتي (القسم الثاني) في مجلة التوحيد، طهران، إيران، العدد

محرم وصفر ١٤٠٤هـ، ص ١٣١.

ويواصل عدد كبير من الطلبة العرب والمسلمين دراساتهم العليا بالجامعات و الكليات الروسية في العلوم التجريبية والآداب المتنوعة. وكان ولا يزال يدرس آلاف الطلبة الأجانب في "جامعة بيترك لومبيا" الشهيرة و "جامعة موسكو" وغيرهما من الجامعات منذ عشرات السنين وعلى حساب الدولة، ولهم نشاطاتهم الثقافية الخاصة بها والتي كانوا ولا يزالون يمارسونها منذ زمن، وهو ما يساعد على نشر الثقافة العربية الإسلامية أوساط الأجانب من المسلمين.

٥- نجد في اللغة الروسية كثيرا من المؤلفات الإسلامية بدءاً من تراجم معاني القرآن وكتب الحديث والفقه والتفسير وغيرها من تراجم الكتب الإسلامية. ولا يزال يزداد عدد هذه الكتب المترجمة والمؤلفة يوماً بعد يوم. وتقوم الآن سيّدة روسية بترجمة جديدة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة الروسية بكل جد و حزم. كما نجد بعض الكتب العربية مطبوعة بالاتحاد السوفيتي سابقاً، وعلى رأسها كتابٌ قيّم عن حياة ضياء الدين بابا خانوف المفتي الأعظم الراحل الذي لعب دوراً هاماً في إبقاء اللغة العربية وعلومها الإسلامية أثناء العصر الشيوعي إلى أقصى حدّ مستطاع. فرحمه الله وغيره من العلماء المجاهدين رحمة واسعة.

٦- يطبع كثير من المجلات والجرائد والنشرات باللغتين العربية والروسية تتعلق بشؤون الإسلام والعالمين العربي والإسلامي. وتشتغل بذلك الجهات المختصة داخل البلاد كما تشرف عليها سفارتها في العالم. وكذلك تقدم الإذاعة الروسية البرامج للناطقين بلغة الضاد في مختلف أنحاء العالم. وتقيم الحكومة الروسية للغة العربية وزناً كبيراً كلغة الإسلام والمسلمين وكلغة عالمية<sup>(١)</sup>.

وانعقد مؤتمر إسلامي في موسكو تحت إشراف المركز الإسلامي والحكومة الروسية في بداية العام ١٩٩٣م. واشترك فيه كل من السيد مرتضى علي يعقوب المستشار الديني لحكومة داغستان والشيخ أحمد القاضي رئيس النهضة الإسلامية والسيد عبد العزيز عبد الله الصفا مفتي تاتارستان والسيد أحمد حمزة من القفقاز والسيد عبد العزيز شعيب والسيد محمد قرشائي من كراشائي شركيسيار مع غيرهم من المواطنين.

وكذلك اشترك فيه ممثلوا دول آسيا الوسطى وأوروبا. وعلى رأسهم فضيلة الشيخ حافظ صبري كوشي المفتي الأعظم لدولة ألبانيا والشيخ صالح ممثل "مجلس المسلمين الكبار" في البوسنة والهرسك والسيد عبد القادر ثاقب من نفس البلاد. وكذلك المفتي صبحي نائب مفتي بلغاريا وغيرهم.

١- هذه المعلومات المتعلقة بالاتحاد الروسي مأخوذة من المصادر المختلفة وراجع لمساحة البلاد وعدد سكانها:

P.C. Globe 5.0 1992, (Russia)

وكان من المشاركين ممثلين عن البلدان العربية المختلفة أيضاً، ومنهم الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي المفكر الإسلامي الشهير، وكذلك ساجد مير رئيس جمعية أهل الحديث في باكستان. ووافق المشاركون في المؤتمر على توصيات وقرارات عديدة تتعلق بمسلمي أوروبا الشرقية والاتحاد الروسي وآسيا الوسطى. كما ترأس اجتماعات المؤتمر بعض مسؤولي الحكومة الروسية مرحبين بالمشاركين وواعدين لهم بكل التعاون من قبل الحكومة لنجاح المؤتمر ونيل أهدافه. و دعا المؤتمر جميع الحكومات والجماعات والمعاهد الدينية إلى الاعتناء بنشر الإسلام ولغة القرآن و أجديتها بين مسلمي هذه الدول وباستخدام جميع الوسائل السمعية والبصرية وغيرها من وسائل الإعلام المعروفة في هذا الصدد. كما دعاء المؤتمر إلى الاهتمام بطبع ترجمة معاني القرآن وتفسيره باللغات المحلية مع طبع المؤلفات المختلفة حول المواضيع الإسلامية باللغة الروسية السائدة في جمهوريات الاتحاد السوفيتي سابقاً، وباللغات المحلية أيضاً. وكذلك دعا المؤتمر إلى تأسيس المجلس الدائم وأمانته العامة لنيل الأهداف الإسلامية ولتنسيق بين نشاطات المركز ونشاطات جميع المسلمين بالاتحاد الروسي والقارة الأوروبية وآسيا الوسطى. والجدير بالذكر أن اللغة العربية كانت إحدى اللغات الرئيسية للمؤتمر مع اللغة الروسية استخدمها أغلب الممثلين من خارج البلاد<sup>(١)</sup>.

ويدل ذلك كله على أهمية اللغة العربية لدولة روسيا حكومة وشعباً. فهي لغة الدين لملايين من المسلمين بالاتحاد الروسي وبالجمهوريات المسلمة السوفيتية سابقاً. وكذلك تعتبر أجديتها أبجدية مشتركة لكتابة جميع لغات المسلمين بالاتحاد الروسي قديماً وحديثاً، مما يدل على تأثير هذه اللغات بها إلى حد كبير. فاللغة العربية هي لغة البلاد الثانية بعد اللغة الروسية فعلاً كما أن الأبجدية العربية هي أبجدية البلاد الثانية بعد الأبجدية الروسية فعلاً تستخدم لكتابة اللغات المسلمة المختلفة. وقد آن للدولة الروسية أن تفكر في الاعتراف بهذه الحقيقة رسمياً وتجعلها لغة البلاد الثانية نظراً إلى أهميتها الضرورية بالنسبة للإسلام والمسلمين بالاتحاد الروسي من ناحية ولأهميتها الدولية من ناحية أخرى، ولا شك أن ذلك سوف يعود عليها بفوائد ثقافية ودولية كثيرة.

## ٥- ألمانيا:

مساحة البلاد: (١٣٧.٨٠٣) ميل مربع، عدد السكان: (٧٩.٥) مليون نسمة

١- راجع للتفاصيل مقال ساجد مير، ما رواء نهر آمو (دراث آمو ك اس بار) في جريدة باكستان اليومية،

لاهور، مجلة الجمعة، ٥ مارس ١٩٩٣م، ص ١١.

لا تقل ألمانيا أهمية عن الدول المذكورة آنفا بل تعدّ من أكبر الدول الأوروبية قوّة إلى جنب بريطانيا وروسيا وفرنسا. وتأخّر ذكرها هنا لأنها لم تكن مسيطرة على أية دولة عربية أو إسلامية، ولم يكن لها أي نوع من الارتباط الثقافي الاستعماري بها في يوم من الأيام.

ولا شك أن الشعب الألماني يتميّز بمميّزات عرقية وثقافية كثيرة يتأثر بها الشعب المسلم في كثير من البلدان العربية والإسلامية، وتعتبر من أسباب حبّ العرب والمسلمين لدولة ألمانيا وشعبها ومن ذلك موقفها من مؤتمرات اليهود والاحتلال الإنجليزي في الماضي. ولا يخفى على أحد أن المفتي الأعظم لدولة فلسطين السيد أمين الحسيني كان اتصل بالرئيس الألماني "هتلر" لما كان مقيماً في ألمانيا أثناء الحرب العالمية الثانية. فأوضح له جوانب من تاريخ اليهود والصهاينة ونشاطاتهم في الشرق والعالم، فافتتح القائد الألماني بما قاله واتفق مع رأيه في هذا الموضوع كما يقال.

وكان العلامة النابعة عناية الله خان المشرقي رئيس "حركة خاكسار" الهندية الشهيرة بفأسها وجيوشها يؤيد حكمة ألمانيا ضد الاحتلال الإنجليزي وحلفائه. ويقال أنه كان على اتصال بهذه الدولة العظيمة وقيادتها أثناء ثورته ضدّ الحكومة الإنجليزية في الهند. والتي كانت أشهر أحداثها معركة عنيفة بين جيش الإنجليز و"خاكسار" في مدينة لاهور عاصمة بنجاب المتحدة بتاريخ ١٩ مارس ١٩٤٠م، والتي استشهد فيها كثير من أعضائها الأبرياء في يوم واحد.

ونكتفي بهذين المثالين من العلاقات الطيّبة بين ألمانيا ومسلمي العالمين العربي والإسلامي أثناء أعوام نكبتهم بالأراضي العربية والهندية.

٢- ويتراوح عدد المسلمين في ألمانيا المتحدة بغربها وشرقها بين مليون ومليون نسمة أكثرهم من سلالة الأتراك. ويتعلم جميع المسلمين من الألمان والأتراك والعرب والعجم لغة الإسلام لتلاوة القرآن وأداء الصلوة وللحاجات الدينية الأخرى، فهي لغتهم الدينية المشتركة. ولهم كتاتيبهم ومساجدهم ومراكزهم الإسلامية في بون وبرلين وآخن وميونخ وغيرها من المدن الألمانية والتي تقوم بنشر لغة القرآن وتعاليم الإسلام بين مسلمي ألمانيا على نطاق واسع.

٣- تصدر في ألمانيا بعض النشرات والمجلات باللغتين العربية والألمانية، كما لا تزال تطبع فيها الكتب الإسلامية باللغتين العربية والألمانية منذ القديم. وتوجد تراجم معاني القرآن وكتب الحديث وغيرها من الكتب العربية والإسلامية باللغة الألمانية. كما أن مكتبة اللغة الألمانية غنية بالتراث الإسلامي. فقد قام المستشرقون الألمان بتصحيح كثير من المخطوطات العربية والتعليق عليها ونشرها وإحيائها. وكذلك لهم خدمات واسعة أخرى في مجال التصنيف والتأليف والبحث والتحقيق باللغتين العربية والألمانية. ونجد هذه العملية سارية المفعول إلى الآن بكل جدّ واجتهاد. وتعتبر خدمات

المستشرقين الألمان في مجالي اللغة العربية والدراسات الإسلامية من أقدم الخدمات وأوسعها وأعلىها قيمة في القارة الأوروبية كلها. فمن الذي لا يعرف "كارل بروكلمان" و تاريخ الأدب العربي له. ومن الذي لم يسمع باسم "نولدكة" من علماء القرآن وعلوم الإسلام وقس على ذلك.

٤- ولا تزال تهتم الجامعات الألمانية باللغة العربية والدراسات الإسلامية وتوجد بها أقسامها منذ القديم. ولا يزال المستشرقون وطلاب العلم مشغولين بالأبحاث العربية والإسلامية بالجامعات الألمانية. وقد تخرّج منها عدد كبير من الطلبة العرب والمسلمين وغيرهم حاملين شهادات الدكتوراة والماجستير وغيرها. ونكتفى بذكر العلامة محمد إقبال شاعر الشرق والإسلام ومفكر الإنسانية الذي نال شهادة الدكتوراة من قسم الفلسفة بجامعة ميونخ الألمانية. فكان يجيد اللغة الألمانية ويفتخر بألمانيا وشعبها ومفكرها وشعرائها وفلاسفتها. وكان قد تأثر بهم لاسيما "جوئتي" العظيم إلى حد كبير والجدير بالذكر أيضاً أن اللغة الألمانية لا تزال تدرس في مدارس تركيا وبعض الدول الإسلامية الأخرى ضمن اللغات الأجنبية لأهميتها من النواحي المختلفة<sup>(١)</sup>.

هذا وقد حان لألمانيا بعد انحلال الاتحاد السوفيتي واتحاد جزئها أن تركز على توثيق علاقاتها الثقافية مع الدول العربية والإسلامية وتتخذ اللغة العربية وسيلة أساسية لها لأنها لغة واسعة الانتشار كلغة دينية أو رسمية أو تعليمية في أغلبية هذه الدول التي يزيد عددها على خمسين دولة مستقلة. فيجب عليها أن تعطيها مكانة خاصة كلغة ثانية أو ثالثة في مدارسها الابتدائية والثانوية نظرا إلى أهميتها بالنسبة للمسلمين جميعا في ألمانيا من ناحية وكلغة العرب والمسلمين والأفارقة والأمم المتحدة من ناحية أخرى. وسوف تعود عليها هي الأخرى بفوائدها الثقافية والدولية. والله الموفق.

#### ٦- الدول الأوروبية الأخرى:

أما الدول الأوروبية الأخرى فيمكن أن نذكرها من حيث المجموع لأن وضع اللغة العربية والأقلية المسلمة في إحداها لا يختلف عن وضعها في الأخرى أساسا، ولو كان ذلك باختلاف البيئة وعدد المسلمين فيها. فهذه ليبيا كانت مستعمرة إيطالية لحقبة من الزمان، وتأثرت باللغة والثقافة الإيطاليتين، كما أن إيطاليا شعرت بأهمية اللغة والثقافة العربيتين في ذلك الزمان واهتمت بهما.

وكذلك كانت هولندا استعمرت إندونيسيا أكبر الدول الإسلامية من حيث عدد السكان، فعلمت أن اللغة العربية وأبجديتها تحتلان مكانة أساسية فيها رغم بعدها عن الدول العربية جغرافيا. ووجدت اللغة الإندونيسية مكتوبة بالحروف العربية ومليئة بالكلمات العربية فزاد اهتمامها

١- هذه المعلومات المتعلقة بألمانيا مأخوذة من المصادر المختلفة. وراجع للإحصائيات:  
P.C. Globe 5.0 1992, (Germany)



بالدراسات العربية والإسلامية في جامعاتها ومؤسساتها لنيل أهدافها المتنوعة. واشتهرت ليدن في الشرق الإسلامي كمركز المؤلفات العربية والإسلامية.

ويتراوح عدد المسلمين بالدول الأوروبية المختلفة بين الآلاف والملايين فنجد مليون مسلم في اليونان كما نجد الملايين من المسلمين في بلغاريا.

ونجدهم في مقدونيا ربع مجموع السكان (مليون نسمة) أكثرهم من سلالة الأتراك وبقيتهم من الألبانيين. وعاصمة بلادهم هي مدينة "إيسكوبجي" الشهيرة التي كان السلطان بايزيد يلدرم قد عمرها عام ١٣٩٢م.

وتوجد أغلبية المسلمين في منطقة كوسوفو الصربية شبه الحرة وأكثرهم من السلالة الألبانية، وعاصمة المنطقة هي مدينة "برستينا" الشهيرة كما تعتبر مدينتها "برزن" من مراكز الإسلام التاريخية. وكذلك يشكل المسلمون ربع مجموع السكان في منطقة "مونتي نيجرو" التي عاصمتها "تيتوغراد" الشهيرة، فيقارب عدد المسلمين في هذه المنطقة ستمائة ألف نسمة (٠,٦ مليون). ويقدر عدد المسلمين في "زغرب" عاصمة كرواتيا قريبا من خمسين ألف مسلم<sup>(١)</sup>. وقس على ذلك عدد المسلمين في الدول الأوروبية المختلفة إذ يتراوح بين الآلاف والملايين، وقلما تجد دولة من دول أوروبا خالية من وجودهم تماما.

ونلخص الآن وضع اللغة العربية في دول الأقليات المسلمة الأوروبية في النقاط الآتية:

١- إن اللغة العربية هي لغة المسلمين الدينية في كل دولة أوروبية، يتعلمونها لتلاوة القرآن وأداء الصلوات والأغراض الدينية الأخرى. ولهم مساجدهم وكتاتيبهم ومنظماتهم ومدارسهم وجميعها تقوم بنشر لغة القرآن وتعاليم الإسلام بين المسلمين وغيرهم من المواطنين في هذه الدول.

٢- تدرس اللغة العربية كمادة مستقلة أو ضمن مادة الدين الإسلامي في مدارس الدول المختلفة. ولا يزال الاهتمام بها يتزايد يوما فيوما لأسباب ثقافية وعالمية مختلفة.

وفي إطار العلاقات الثقافية المتبادلة بين المملكة المغربية وهولندا، وقّع معالي الدكتور عز الدين العراقي وزير التربية الوطنية مع وزير الشؤون الخارجية الهولندي اتفاقا ثقافيا ينص على

---

١- راجع مقال السيد محسن الفاراني: "يوغوسلافيا" في مجلة أردو دائجست الشهرية، لاهور باكستان، العدد، أكتوبر ١٩٩١م، ص ١٦٧. ويقارب عدد المسلمين في بلغاريا ثلاثة ملايين نسمة كما قال الشيخ صبحي نائب مفتي بلغاريا. راجع مقال السيد ساجد مير المذكور: ما وراء نهر آمو، ص ١١.

التزام هولندا بتدريس العربية في مدارسها الابتدائية والثانوية والمهنية. دعماً للاهتمام المتبادل بين الملكيتين في توطيد وتجسيد سبل التعاون في المجالات الثقافية والعلمية والرياضية وغيرها. كما تم توقيع اتفاق آخر لنفس الهدف بين المغرب وبلجيكا يوصي باعتبار اللغة العربية لغة اختيارية في المدارس البلجيكية<sup>(١)</sup>.

٣- توجد أقسام اللغة العربية والدراسات الإسلامية بجامعة الدول الأوروبية على نطاق واسع. ولا يزال عدد كبير من العلماء والمستشرقين وطلاب العلم مشغولين بالدراسات العربية والإسلامية بها قديماً وحديثاً. ولهم خدمات علمية وعالمية واسعة في مجالي اللغة العربية والدراسات الإسلامية، ومنها تدريس اللغة العربية ونشر المخطوطات العربية بعد تحقيقها والتعليق عليها، وكذلك تصنيف الكتب العربية مع ترجمتها إلى اللغات الأوروبية ثم تأليف الكتب المتعلقة بالأبحاث العربية والإسلامية باللغات الغربية المختلفة، وغيرها من النشاطات العلمية المتنوعة.

وتخرج إلى الآن من هذه الجامعات والمعاهد آلاف الطلبة العرب والمسلمين الوافدين من جميع أنحاء العالم. ونالوا شهادات الدكتوراة والماجستير وغيرها في اللغة العربية والدراسات الإسلامية. ثم انتشروا في مختلف أنحاء العالم للتدريس والإشراف على البحوث المتنوعة للأهداف العلمية. هذا ويواصل عدد كبير من الطلبة العرب والمسلمين دراساتهم العليا بالجامعات الأوروبية في العلوم التجريبية والآداب المختلفة. ولهم نشاطاتهم الدينية والثقافية العربية أثناء إقامتهم في أوروبا.

٤- توجد منظمات ومؤسسات وجمعيات كثيرة في بلدان أوروبا المختلفة تعتنى باللغة العربية على المستويات الدينية والثقافية والسياسية والتجارية. وتلعب دورها في نشر اللغة العربية بين أبناء الشعب الأوروبي. كما تهتم بها حكومات وسفارات الدول الأوروبية لنشر آرائها وأفكارها ولحاجاتها المتنوعة على مختلف المستويات. وذلك كلغة الدول العربية والإسلامية والإفريقية وكلغة علمية ودولية واسعة الانتشار.

٥- تطبع كثير من المؤلفات العربية والإسلامية في الدول الأوروبية وتنشر على نطاق واسع، وعلى رأسها نسخ القرآن الكريم وكتب الحديث والعلوم الإسلامية المتنوعة. وكذلك تصدر كثير من المجلات والجرائد والنشرات باللغة العربية وباللغات الأخرى المتعلقة بالإسلام والعالمين العربي

١- مجلة اللسان العربي نصف السنوية، الرباط، العدد العشرون، ١٩٨٣م، ص ٣٧٨.

والإسلامي. وبدورها تقدّم الإذاعات المرئية والمسموعة الأوروبية برامجها العربية للناطقين بلغة الضاد داخل أوروبا وخارجها<sup>(١)</sup>.

وهناك كثير من العلماء المسلمين الماهرين الذين برزوا في اللغة العربية والعلوم الإسلامية في دول أوروبا، منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، ولهم خدمات عظيمة وتوضيحات كبرى في سبيل الإسلام ولغة القرآن بين الشعب الأوروبي. ومن أولئك على سبيل المثال محمد مارما ديوك بكثال من بريطانيا الذي اعتنق الإسلام وترجم معاني القرآن إلى اللغة الإنجليزية بأسلوبه الرائع النادر المثال. ومنهم العلامة الأستاذ الدكتور محمد حميد الله المفكر الإسلامي المعروف ورائد المركز الإسلامي في باريس الذي تقدّم ذكره، والذي ترجم معاني القرآن إلى اللغة الفرنسية بأسلوبه الفريد وألف كتباً عديدة باللغات المختلفة لنشر الإسلام وعلومه. وهناك سيده المانية حاجة طاهرة التي قامت بترجمة معاني القرآن إلى اللغة الألمانية ولها خدمات دينية واسعة. ومنهم العلامة محمد أسد (ليوبولد وايز سابقاً) مترجم معاني القرآن إلى اللغة الإنجليزية ومفسر القرآن بها. وكان صاحب المعرفة الواسعة باللغات العربية والإنجليزية والألمانية وغيرها، والذي ألف كتباً عديدة باللغات المختلفة، وأدى دوراً هاماً في نشر الإسلام وعلومه طيلة حياته وتوفي في جبل طارق قبل سنين. ويكفي في هذا المقام أن ذكرنا بعض هذه الأسماء القليلة من أسماء آلاف الرجال والنساء من الشيوخ والشباب الذين تحملوا مسؤولية نشر الإسلام ولغة القرآن في مختلف أنحاء أوروبا. ومنهم المسلمون الجدد. ومنهم من كان من سلالة المسلمين. ومنهم من أدى دوره ومنهم من لا يزال حياً ومؤدياً دوره في سبيل الدين. فجزاهم الله جميعاً أحسن الجزاء في الدارين.

ولنلقي الآن نظرة عابرة على بعض المستشرقين الأوروبيين في سبيل اللغة العربية وآدابها حتى نستيقن بعظم خدماتهم وسعة معرفتهم بالعلوم العربية والإسلامية. ولنبدأ بذكر مؤلفي المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي وعلى رأسهم السيد ونسك والسيد منسج وزملائهما. طبع هذا الكتاب في عدة مجلدات بمدينة ليدن ويتضمن الأحاديث الواردة في الصحاح الستة وغيرها من الكتب المعتمدة. والأمة مدينة لمؤلفيها وناشريها لما قدّمه للعلوم الإسلام وخاصة لعلم الحديث من خدمة جليلة تركت آثاراً طيبة وخالدة على المستوى العالمي. وقس على ذلك دائرة المعارف الإسلامية المطبوعة في ليدن ومؤلفيها من المستشرقين البارزين.

وفيما يلي نورد الآن أسماء بعض المعاجم التي ألفها المستشرقون الأوروبيون.

١- هذه المعلومات المتعلقة بالدول الأوروبية المختلفة مأخوذة من المصادر المختلفة.

- ١- معجم جيجاؤس (عربي - لاتيني) طبع في ميلان، بإيطاليا، سنة ١٦٣٢م، في أربع مجلدات.
- ٢- معجم جوليوس (عربي - لاتيني) طبع في ميلان، أيضاً، سنة ١٦٥٣م.
- ٣- معجم مانينسكي (عربي - فارسي - تركي - لاتيني - ألماني) طبع في وى آنا، سنة ١٧٨٠م، (أربع مجلدات).
- ٤- معجم فرايتاغ (عربي - لاتيني) طبع هليس سنة ١٨٣٠ - ١٨٣٧م (أربع مجلدات).
- ٥- معجم كازيرسكي (عربي - فرنسي) طبع في باريس، بفرنسا، سنة ١٨٦٠م، (في مجلدين).
- ٦- معجم شربونو (عربي - فرنسي) طبع في باريس، أيضاً، سنة ١٨٧٦م.
- ٧- معجم بادجر (إنجليزي - عربي) طبع سنة ١٨٨١م.
- ٨- معجم لين (عربي - إنجليزي) طبع في لندن، بريطانيا، سنة ١٨٦٢ - ١٨٦٣م (تعد من أكبر المعاجم المطبوعة من قبل المستشرقين).
- ٩- معجم كوش (عربي - فرنسي) طبع في بيروت، لبنان، سنة ١٨٦٢م.
- ١٠- معجم أرموند (عربي - ألماني) طبع في جيسن، سنة ١٨٧٩م، (في مجلدين).
- ١١- معجم جاسلين (عربي - فرنسي) طبع بين سنتي ١٨٨٦ - ١٨٨٨م (ثلاثة مجلدات).
- ١٢- معجم إستانيجاس (إنجليزي - عربي) طبع في لندن، بريطانيا، سنة ١٨٨٤م.
- ١٣- معجم دوزي (ملحق المعاجم العربية) طبع في لندن، أيضاً، سنة ١٨٨١م، (في مجلدين).
- ١٤- معجم جرجاس (عربي - روسي) طبع في قازان، سنة ١٨٨١م.
- ١٥- معجم بوسيد (عربي - فرنسي) طبع في الجزائر، سنة ١٨٨٧م<sup>(١)</sup>.

هذا وقد ترجم المستشرقون كثيراً من الكتب العربية إلى اللغات الأوروبية لأهميتها العلمية والأدبية. وعلى رأسها تراجم معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأوروبية الكثيرة لاسيما اللاتينية والألمانية والفرنسية والإنجليزية، وكذلك ترجمة تفسير البيضاوي و مشكاة المصابيح إلى اللغة الإنجليزية، وترتيب المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي في عدة مجلدات باللغة العربية (قام به ونسك وغيره من المستشرقين كما سبق).

---

١- راجع جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، المجلد الرابع، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٦٧م، ص ٥٢٤ - ٥٢٥.

ومنها ترجمة الفتح القريب و الدرّة الفاخرة و مختصر الخليل إلى اللغة الفرنسية وترجمة مقاصد الفلاسفة إلى اللغة الألمانية، وتراجم ديوان الحماسة و أشعار الهدليين، ونخبة من أبيات الأغاني إلى اللغة اللاتينية. ثم تراجم إنجليزية لشعر امرئ القيس والنابعة الذبياني وطرفة بن العبد والخنساء وبردّة الإمام البوصيري وأشعار الفرزدق والمتنبي وأبي العلاء المعري وعنتر بن شداد وبهاء الدين زهير. وترجمات ألمانية للمعلقات وديوان لبيد وثائية ابن الفارض وشعر ابن قيس الرقيات وبعض ديوان أبي فراس. وكذلك تراجم فرنسية لأطواق الذهب للزمخشري. وكذلك ملحّة الأعراب و ألف ليلة وليلة و مقدّمة ابن خلدون و مقامات الحريري و أدب الكاتب و رسالة حيّ بن يقظان و تاج العروس و كليلّة ودمنة.

وترجمة ألمانية لأطواق الذهب و كتاب سيبويه و ألف ليلة وليلة و كليلّة و دمنة و عجائب المخلوقات. وترجمات كتب التاريخ إلى اللغة اللاتينية. ومنها تراجم كتاب أبي الفداء و مختصر الدول و الإفادة والاعتبار و كشف الظنون و تاريخ الطبري و التاريخ المكين. وترجمات إنجليزية لوفيات الأعيان لابن خلكان و تاريخ اليمنى و والعمارة و تاريخ الخلفاء للسيوطي وابن بطوطة وابن حوقل و نفح الطيب للمقري. وترجمات فرنسية لكتاب أبي الفداء و مروج الذهب للمسعودي و طبقات الأطباء و تاريخ المماليك للمقريزي و كتاب الفخري و جغرافية الإدريسي و تاريخ البربر و وفيات الأعيان. وترجم ألمانية لسيرة ابن هشام و كتاب المغازي و الكامل للمبرد وغيرها<sup>(١)</sup>.

وكذلك ألفت كتب كثيرة باللغات الأوروبية تتعلق باللغة العربية وآدابها. ومنها تاريخ الأدب العربي باللغة الألمانية لكارل بروكلمان كما سبق. ثم تاريخ العرب لفيليب كي حتى و تاريخ العرب الأدبي باللغة الإنجليزية للسيد آر إي نيكلسون. وكذلك كتاب آخر باللغة الإنجليزية المسمى الأدب العربي للسيد ايش أي أرجب، وغيرها.

هذه نبذة عن وضع اللغة العربية في بلدان الأقليات المسلمية الأوروبية. فهي لغة واسعة الانتشار في دول أوروبا لكونها لغة دينية مشتركة لعشرات الملايين من أبناء الأقليات الإسلامية و لكونها لغة العوالم العربية والإسلامية والإفريقية. وذلك إضافة إلى أهميتها كلغة علمية و دولية قديما وحديثا. ولا يزال الاهتمام بها يتزايد يوما فيوماً لأسباب علمية وثقافية ودولية مختلفة. والواجب على

١- تاريخ آداب اللغة العربية، المرجع السابق، ٥٢٦/٤.

كل دولة من دول أوروبا أن تتخذها لغة أساسية وإجبارية للطلبة المسلمين واختيارية لغيرهم في مدارسها الابتدائية والثانوية. كما يجب عليها أن تفكرّ ويجدّ في اعتبارها لغة البلاد الثانية أو الثالثة وفق ما تمليه عليها طبيعة الأمانة العلمية والإنسانية حتى تكون لغة مشتركة بين جميع الدول الأوروبية التي لا يمكن لها الاتفاق على أية لغة أوروبية كلغتها المشتركة نظرا إلى العصبية الوطنية والعرقية بين الناطقين بالإنجليزية والفرنسية والروسية والإسبانية والألمانية وغيرها من لغات أوروبا. فلا بد إذن من الرجوع إلى اللغة العربية لتكون لغتها المشتركة ولتحقيق الوحدة الأوروبية التي تسعى لتحقيقها وبذلك فقط يمكنها هدم الحواجز والفوارق اللغوية بين أبناء شعوب القارة الأوروبية. والله الموفق.

#### أستراليا وأنتاركتيكا:

وفي ختام البحث لا مانع لدينا أن نشير إلى وضع اللغة العربية في أستراليا التي تقع بعيدة عن أوروبا وقريبة من جنوب شرق آسيا. ولكن شعب هذه القارة الهادئة الجميلة الواسعة يتشابه في الكثير مع شعب أوروبا دينا ولغة وعرقا ولونا وثقافة مع احتفاظهم ببعض المميّزات الخاصة بهم. ويشبه منظور اللغة العربية ووضعها بها كوضعها في بعض الدول الأوروبية. ويوجد آلاف المسلمين في أستراليا يتعلمون اللغة العربية لتلاوة القرآن وأداء الصلاة ولأغراضهم الدينية الأخرى. ولهم مساجدهم ومراكزهم وجمعياتهم في مختلف المدن. كما نجد بها منظمات إسلامية، تعمل على توعية المسلمين ونشر الدعوة الإيمانية بين غيرهم منها منظمة "اتحاد الطلبة المسلمين" في أستراليا. كما أن هناك أيضاً أقسام للدراسات العربية والإسلامية بجامعة أستراليا. ولا يزال الاهتمام باللغة العربية يتزايد يوماً بعد يوم لأسباب ثقافية وعالمية مختلفة. أما قارة أنتاركتيكا فهي لا تزال مظلمة غاشية بالثلج غير مأهولة غنيّة بالثروات المادية. وقد وصل إليها بعض علماء الأرض والطبيعة من المسلمين فصلّوا هناك وقرؤوا القرآن أثناء إقامتهم بأرضها. هذا كل ما نستطيع قوله بالنسبة لوصول الإسلام ولغة القرآن إليها<sup>(١)</sup>.

\* \* \* \*

١- هذه المعلومات المتعلقة بأستراليا وأنتاركتيكا مأخوذة من المصادر المختلفة.